

الثقافي الذي لعبه الحزب ، والعناصر المناضلة في هذا الصعيد التي انتجها ، فانه لم يلعب في الحركة النضالية الفلسطينية في تلك الفترة الدور الذي رشحه له مؤتمره السابع ، وقد انشطر الحزب من القاعدة خلال ثورة ١٩٣٦ ، وتمرض لانشطار اخر ، قاعدي ، في ١٩٤٨ ، وفي ١٩٦٥ انشق مرة اخرى ، والسبب بالضبط يتعلق بمسألة التعريب ، اذ ان المنشقين كانوا من دعاة تبني سياسة «بناء» ازاء الصهيونية . ان غياب دور الحزب الشيوعي على هذه الصورة ، وضمف البورجوازية العربية الصاعدة ، ونشئت الحركة العمالية العربية ، جعل دور القيادات الاقطاعية - الدينية مرشحا للعب دور رئيسي عندما تصاعدت الاحداث الى انفجار ١٩٣٦ .

الفلاحون

لك كانت الاوضاع العمالية عشية انفجار ثورة ١٩٣٦ ، الا ان هذه الاوضاع كانت تشغل نصف مساحة الخارطة التي كان يحتدم فيها ذلك التناقض الركب بين المجتمع اليهودي في فلسطين وبين المجتمع العربي ثم داخل كل واحد من هذين المجتمعين على حدة . اما النصف الاخر من الخارطة فقد كان في الريف . فهناك اخذ الصراع شكله القومي المباشر ، لان الاموال اليهودية المتدفقة بغزارة على فلسطين مضانا اليها القوات العسكرية للامبرياليين البريطانيين ، والنفوذ الهائل للجهاز الاداري الانكليزي ، قد حققت بالنسبة الى مخططات الصهيونية في اقامة دولة يهودية نتائج تافهة (٦٧٥٢ مستوطنا مستعمرا) ولكنها نجت في مزاولة تاثير تخريبي علي الجماهير العربية ... ان ملكية الجماعات اليهودية قد ارتفعت على حساب الاراضي الريفية والمدينية من ٢٠٠ الف دونم عام ١٩٢٩ الى مليون و ٢٥٠ الف دونم عام ١٩٣٠ . ان هذه الـ ١٠٠ الف هكتار لا تساوي شيئا يذكر بالنسبة للاستعمار الجماهي ، ولحل « المسألة اليهودية » ، ولكن ... الاستيلاء على حوالي مليون دونم اي ما يقرب من ثلث الارض الزراعية ، يعني الانتار للفلاحين والبدو على نطاق ووتيرة لم يسبق بهما من ذي قبل ، ان هدد عائلات الفلاحين الذين طردوا من ارضهم من قبل المهينة يبلغ (١٩٣١) ٢٠ الفا (٣٠) . على انه بالإضافة لعملية الانتار المنظمة هذه ، فان العامل

القومي ها هنا يلعب دورا رئيسيا . فالحياة الزراعية في العالم المتخلف صوما ، وبصورة خاصة في العالم العربي ، ليست نمطا من الانتاج فحسب ، بل هي ايضا وبدرجة مساوية اسلوب حياة اجتماعية ودينية وطقوسية راسخة . وبالتالي فان الصدام على هذا الصعيد يشكل صداما يأخذ بالدرجة الاولى شكل الصراع القومي البحت . فحتى عام ١٩٣١ كان ١٥١ يهوديا فقط من كل الف يهودي في فلسطين يعتمدون في معيشتهم على الزراعة ، بينما كانت النسبة بين العرب المسلمين ٦٢٧ شخصا في كل الف ، وهكذا فانه من اصل حوالي ١١٩ الف «فلاح» يشتغل بالأعمال الزراعية في فلسطين لا يوجد الا ١١ الف يهودي تقريبا (٣١) . وفي حين انه (في عام ١٩٣١) كان هناك ١٩٤١ بالمائة من اليهود فقط يعملون في الزراعة كان هناك ٥٩ بالمائة من العرب يمارسون هذا العمل . ان الاساس الاقتصادي لهذا الصدام فادح الخطورة بالطبع ، ولكن كي نفهمه تماما ينبغي ان ندرك وجهه القومي : ان ٣٠ بالمائة من الفلاحين العرب في ١٩٤١ لم يكن لديهم اية قطعة ارض ، فيما كان يملك ٥٠ بالمائة من الباقي ارضا صغيرة لا تكتفيهم ، هناك - من جهة اخرى - ٢٥٠ اقطاعيا عربيا كانوا يملكون ٤ ملايين دونم ، و ٢٥ الف عائلة فلاحية بدون ارض ، و ٤٦ الف عائلة فلاحية لها ارض صغيرة بمعدل ١٠٠ دونم للعائلة ، و ١٥ الف عامل زراعي مجاور يعملون عند ملاكين . وحسب دراسة اجريت على ٣٢٢ قرية عربية في ١٩٣٦ تبين ان ٤٧ بالمائة من الفلاحين يملكون اقل من ٧ دونمات ، و ٦٣ بالمائة يملكون اقل من ٢٠ دونما (الحد الأدنى اللازم لاطعام عائلة فلاحية ١٢٠ دونما) (٣٢) . ولكن من خلال انسحاق الفلاح العربي بين كابوس مثلث : الغزو الصهيوني للارض ، والملكبة الاقطاعية العربية ، وغداحة الضرائب التي تفرضها حكومة الانتداب ، فان التحدي الذي يأخذ مكان الصدارة هو التحدي القومي . ان كثيرا من الفلاحين العرب الصغار ، في انتفاضة آب ١٩٢٩ وانتفاضة ١٩٣٣ باعوا اراضيهم للملاكين العرب الكبار كي يشتروا بائمانها سلاحا لمقاومة الغزو الصهيوني والانتداب البريطاني . ان الغزو ، الذي يتحدى طراز عيش له نفوذ الدين والتقليد والشرف ، هو الذي مكن القيادات الاقطاعية - الاكثريكية من مواصلة لعب